تحصينات الإنسان ضد الشيطان: الإخلاص





الشيخ وحيد عبدالسلام بالي

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 5/12/2020 ميلادي - 19/4/1442 هجري

الزيارات: 4904

تحصينات الإنسان ضد الشيطان

الإخلاص

إن تحقيق الإخلاص هو سبيل الخلاص من الشيطان باعترافه هو؛ حيث يقول تعالى على لسانه: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [الحجر: 39، 40]، فقد اعترف الشيطان بعجزه عن إغواء المخلصين.

فمن المخلص؟ هو الذي يعمل، ولا يحب أن يحمده الناس[1].

وقال يعقوب المكفوف: من يكتم حسناته، كما يكتم سيئاته.

وما الإخلاص؟

قال سهل: الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى.

وقال إبراهيم بن أدهم: الإخلاص صدق النية مع الله.

وقال أبو عثمان: الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق.

وقيل: الإخلاص دوام المراقبة، ونسيان الحظوظ كلها.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مِنْ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا لَهُ، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»[2]؛ رواه النسائي وصححه الألباني[3].

وقال الجنيد: إن لله عبادًا عقلوا، فلما عقلوا علموا، فلما علموا أخلصوا، فاستدعاهم الإخلاص إلى أبواب البر أجمع، ولما كان الإخلاص حصنًا حصينًا يعصم الإنسان من كيد الشيطان، فقد عمل الشيطان بكل قواه، وبجميع حيله ليخرج الإنسان من حصن الإخلاص.

وإليك هذا المثال الذي يوضح هذه الحقيقة:

يقول الغزالي رحمه الله: إن الشيطان يدخل الآفة على المصلِّي وإن حاول الإخلاص فيها، فإذا نظر إليه جماعة أو دخل عليه داخل، فيقول له: حسِّن صلاتك حتى ينظر إليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح، ولا يزدريك، ولا يغتابك فتخشع جوارحه، وتسكن أطرافه، وتحسن صلاته، وهذا هو الرياء الظاهر، وهذه الدرجة الأولى.

الدرجة الثانية:

يكون العبد قد فهِم هذه الآفة وأخذ منها حذرَه، فصار لا يطيع الشيطان فيها، ولا يلتفت إليه، ويستمر في صلاته كما كان، فيأتيه في معرض الخير، ويقول له: أنت متبوع ومقتدى بك، ومنظور إليك، وما تفعله يؤثر عنك، ويتأسى بك غيرك، فيكون لك ثواب أعمالهم إن أحسنت، وعليك الوزر إن أسأت، فأحسِن عملك بين يديه، فعساه يُقتدي بك في الخشوع وتحسين العبادة، وهذا أخطر من الأول، وقد ينخدع به من لا ينخدع بالأول، وهو أيضًا عين الرياء ومبطل للإخلاص، فإنه إن كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيرًا لا يرضى لغيره تركه، فلماذا تركه في الخلوة؟! وهل يمكن أن تكون نفس غيره أعز عليه من نفسه؟! فهذا محض التلبيس.

الدرجة الثالثة:

وهي أدق مما قبلها أن يجرِّب العبد نفسه في ذلك، ويتنبه لكيد الشيطان، ويعلم أن مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محض الرياء، ويعلم أن الإخلاص في أن تكون صلاته في الخلوة مثل صلاته في الملأ والمشاهدة، ويستحيي من ربه أن يتخشع لمشاهدة خلقه تخشعًا زائدًا على عادته، فيقبل على نفسه في الخلوة، ويُحسن صلاته على الوجه الذي يرضيه في الملأ، ويصلي في الملأ أيضًا كذلك، فهذا أيضًا من الرياء الغامض؛ لأنه حسن صلاته في الخلوة لتحسن في الملأ، فلا يكون قد فرق بينهما، فالتفاته في الخلوة والملأ إلى الخلق.

بل الإخلاص أن تكون مشاهدة البهائم صلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة، فكأن نفس هذا لا تسمح بإساءة الصلاة بين أظهر الناس، ثم يستحيي من نفسه أن يكون في صورة المرائين، ويظن أن ذلك يزول بأن تستوي صلاته في الخلاء والملأ، وهيهات بعد زوال ذلك بألا يلتفت إلى الخلق، كما لا يلتفت إلى الجمادات في الخلاء والملأ جميعًا.

وهذا من شخص مشغول الهمِّ بالخلق في الملأ والخلاء جميعًا، وهذا من المكايد الخفية للشيطان.

الدرجة الرابعة:

وهي أدق وأخفى، وهي أن ينظر الناس إليه وهو في صلاته، فيَعجِز الشيطان عن أن يقول له: اخشع لأجلهم، فإنه قد عرف أنه تفطَّن لذلك، فيقول له الشيطان: تفكر في عظمة الله وجلاله، ومن أنت واقف بين يديه، واستحي من أن ينظر الله إلى قلبك وهو غافل عنه، فيحضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه، ويظن أن ذلك عين الإخلاص، وهو عين المكر والخداع، فإن خشوعه لو كان لنظره إلى جلاله، لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة، ولكان لا يختص حضورها بحالة حضور غيره.

وعلامة الأمن في هذه الآفة: أن يكون هذا الخاطر مما يألفه في الخلوة كما يألفه في الملأ، ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الخاطر، كما لا يكون حضور البهيمة سببًا، فما دام يفرق في أحواله بين مشاهدة إنسان أو مشاهدة بهيمة، فهو يعد خارجًا عن صفو الإخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي من الرياء، وهذا الشرك أخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء، ولا يسلم من الشيطان إلا من دق نظره، وسعد بعصمة الله وتوفيقه وهدايته؛ ا.هـ (ملخصًا)[4].

فينبغي على العبد أن يتفقد أحواله قبل العمل وأثناءه لينظر: هل دافعه إلى العمل هو إرادة وجه الله فقط أم هناك دافع آخر في حظوظ النفس وأهوائها؟

كمن يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب، أو يحج ليتنزه، أو يصلي بالليل وله غرض في دفع النعاس عن نفسه به؛ ليراقب أهله ورحله، أو يتعلم العلم ليكون عزيزًا بين الأهل والعشيرة، أو يعمل بالوعظ ليتلذذ بالكلام، أو يتصدق على سائل ليتخلص من ذمه، أو يعود مريضًا ليعاد إذا مرض، أو يشيع جنازة ليشيع جنائز أهله ويشيعها إرضاءً لأهل الميت.

وبالجملة: كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح إليه النفس ويميل إليه القلب قلَّ أم كثر، إذا تطرق إلى العمل تكدَّر به صفوه، وزال به إخلاصه، ولذلك كان الإخلاص من أشد الأعمال وأصعبها، ولا يكون هذا سببًا في ترك العمل، فإن ذلك هدف الشيطان وغايته، بل يجب عليك أن تجتهد في تنقية العمل ولا تتركه خوف الرياء.

كما قال الفضيل بن عياض رحمه الله: ترك العمل من أجل الناس رياءٌ، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حَمِيَّةً، ويقاتل رياءً؛ أي: ذلك في سبيل الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ»[5]؛ رواه البخاري ومسلم، والترمذي والنسائي وابن ماجه، ولقد جمع الله كل ذلك في قوله: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: 5] [6].

---

[1] تفسير القرطبي (10 /28).

[2] **حسن:** رواه النسائي (6 /25)، وقال الحافظ في «الفتح» (6/28): إسناده جيد، وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم (52).

[3] صحيح الترغيب والترهيب (61).

[4] تخريج إحياء علوم الدين (2720).

[5] **متفق عليه:** رواه البخاري رقم (2810) في «الجهاد»، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ومسلم رقم (1904) في «الإمارة»، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

[6] من أراد التوسع في ذلك فليرجع إلى محاضرة (كيف تكون مخلصًا).
